الا ان نقاتل معهم فان رايتم فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا
بيننا وبين الرجل في بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا
فابوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وارسل عليهم الريح العقيم فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف
الله تعالى ان الهم نعيم بن مسعود هذه اليقظة وهداه الى هذه الفطنة التي عم نفعها وحسن وقعها
واما ما جاء في التيقظ والتبصر في الامور فقد قالت الحكماء من ايقظ نفسه والبسها
لباس التحفظ ايس عدوه من كيده له وقطع عنه اطماع المكادين به **وقيل** ان كسرى انوشروان
كان اشد الناس تطلعا الى خفايا الامور واعظم خلق الله في زمانه تفحصا وبحثا عن اسرار الصدور
وكان يبث العيون والجواسيس في البلاد ليقف على حقايق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا
فيعلم المفسد فيقابله بالتاديب ويجازي المصلح بالاحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك
فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من الملوك هيبته **وروي** عن انس بن مالك رضي الله
عنه قال خرج امير المؤمنين عمر بن الخطاب في ليلة من الليالي يطوف يتفقد احوال الناس
والمسلمين فراى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن رآه بالامس فدنا منه فسمع انين امراة وراى
رجلا قاعدا فدنا منه وقال من الرجل فقال رجل من البادية قدمت الى امير المؤمنين لاصيب
من فضله قال فما هذا الانين قال امراة تتمخض قد اخذها الطلق قال فهل عندها احد قال
لا فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامراته ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب رضي الله
عنهم هل لك في اجر ساقه الله اليك قالت وما هو قال امراة تتمخض ليس عندها احد قالت ان شئت
قال فخذي ما يصلح للمراة من الخرق والدهن وائتني بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت
خلفه حتى اتى البيت فقال ادخلي الى المراة ثم قال للرجل اوقد لي نارا ففعل فجعل عمر يوقد النار وينفخها
والدخان يخرج من خلال لحيته حتى انضجها ووضعت المراة فقالت ام كلثوم رضي الله عنها
يا امير المؤمنين ارتاع الرجل وخجل وقال واخجلتاه منك يا امير المؤمنين هكذا تفعل بنفسك
فقال يا اخا العرب من ولي شيئا من امور المؤمنين ينبغي ان يتطلع الى صغير امرهم وكبيره فانه عنها
مسؤل ومن غفل عنها خسر الدنيا والاخرة ثم قام عمر واخذ القدر من النار وحملها الى باب البيت
فاخذتها ام كلثوم واطعمت المراة فلما استقرت وسكنت طلعت ام كلثوم فقال عمر للرجل قم الى

بيتك

بيتك وكل ما بقي من الزاد وفي غداة ايت الينا فلما اصبح جاء فجهزه بما اغناه فاخذه وانصرف
وكان رحمه الله من شدة حرصه على تعرف الاحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة اسباب
الفساد واصلاح الامة يعاين بنفسه ويباشر امور الرعية سرا في كثير من الليالي حتى انه في
ليلة مظلمة خرج لامر بلغه فراى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب
يتجسس فراى عبدا اسود قدامه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول فلم يقدر من
الباب فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرج ومعه الدرة فلما راوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا
فمسك الاسود فقال له يا امير المؤمنين اني قد اخطات فاقبل توبتي فقال اريد ان اضربك على خطيئتك
فقال يا امير المؤمنين ان كنت قد اخطات في واحدة فانت ايضا قد اخطات في ثلاث فان الله تعالى
قال ولا تجسسوا وانت تجسست وقال تعالى واتوا البيوت من ابوابها وانت اتيت من السطح
وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وانت دخلت وما سلمت
فهب لي هذه بهذه واني لتائب الى الله تعالى على يديك اني لا اعود فاستتابه واستحسن كلامه
وله رضي الله عنه وقايع كثيرة مثل هذه **وكان** معاوية بن ابي سفيان قد سلك طريق امير
المؤمنين عمر رضي الله عنه في ذلك وكان زياد ابنه يسلك مسلك معاوية في ذلك حتى نقل عنه ان
رجلا كلمه في حاجة له وكان يتعرف اليه ويظن ان زيادا لا يعرفه فقال انا فلان ابن فلان فتبسم زياد
وقال اتتعرف الي وانا اعرف منك بنفسك والله اني لاعرفك واعرف اباك وجدك وامك وجدتك
واعرف هذا البرد الذي عليك وهو لفلان وقد اعارك اياه فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى
عليه ثم جاء من بعدهم من اقتدى بهم وهم عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما احد
بعد ذلك الى ان ولي المنصور فنصب العيون واقام المتطلعين وبث في البلاد والنواحي من يكشف
له حقايق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولقد ابتلي في ايام خلافته باقوام
نازعوه وارادوا خلعه وتفرقوا عليه وتكاثروا ولولا ان الله تعالى اعانه بتيقظه وتبصره ما ثبتت له
في الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد اولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف ما انطوى
على خلافه فعاجله بالتلافي واطلع على عزائم المعاندين فقطع رؤس عنادهم باسيافه وصار يكاد
بفطنته يتلقى المحذور ويدفعه دون دفعه ويعاجل المخوف بتفرق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب

Copyright © King Saud University